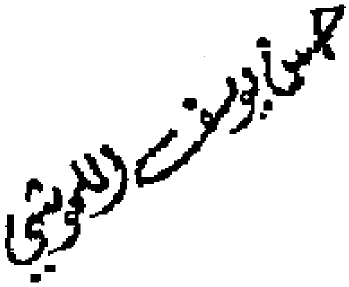
مرافعة السيوف

شعر

إدريس بن الطيب

مجلس الثقافة العام



مــرافـعــة الـسـيـوف

شـعــــر

إدريس بن الطيب

النـاشـر

مجلـس الثـقافـة الـعــام

اســـم الكــتاب	مرافعة السيوف (شعر)
اســـم المؤلــف	إدريس بن الطيب
سنــة النــشــر	2010 م
رقــم الإيــداع	328 / 2008 م (دار الكتب الوطنية)
الـترقيم الـدولي	2 - 845 - 38 - 9959 - 978

تـصميم الغـلاف	علي العباني
لــوحــة الغلاف	عاطف الأطرش
التنفــيذ الفنــي	دار قـــباء الـحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

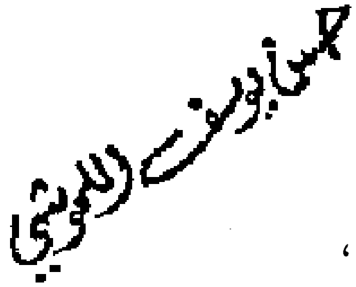
بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@Yahoo.ca

أشرق حتى تأتي

إلى أصدقائي :
السنوسي حبيب، منصور بوشناف، عبد السلام شهاب

تبزغ من بين
غشاوات الخوف عيونك ،
وجهك يمتد ، ويتسع كخارطة ضمَّدَتِ الجرح،
فانبثَ الخوف على خارطة الجرح الآخر ،
يستنطقه ،
يستجوبه أسماءَ الشعراء المغلولين ،
أسماءَ الأطفال ،
وجوهَ المدن ،
تجاعيدَ القرية،
غيرك يهتز ويتداعى



يتحطم ،

يأكل من زعزعة الخوف لسانه ،

لكنك جبل يغلق في وجه الجرذان شعابه ،

لا تغزوه جيوش الرهبة ،

ينظر من علياء العزة في أعين خصيان القصر ،

أشْرقْ ،

إنثرْ دفئك في ظلمات القبو البارد ،

أشعلْ أضواءك في طرقات السجن هنا وهناك ،

ولأنك تلمع أبداً في ذاكرتي ،

يتبقى جزء من قلبي يلتحم على مر الأيام بذاكرتك ،

حتى تأتي ،

تنسف سُجُفَ الخوف عيونُك

سجن الكويفيه

1979/1/1

لحظة أن ينفلت القيد

(1)

ينفرد التّوق في ساحة السجن بالأضلع المُسْتَسِرّةِ
أوجاعها ..
ثم يكتظّ منسرحاً في التجاويف يقرعها بالتوجّس ..
يضطرم الوجد ،
ينزف في الصمت في قلب شوك التوحد ،
يزرع خلف سياج الزنازين كل أمانيه ..
رفرفات الفؤاد السجين تصفق أجنحة للتواصل ...
في لحظة الحلم ينعتق الصدر ،
والقلب طير يغافل حراس هذا القفصْ.
وثبةً ، وثبةً
يتوامض وجهكِ مبتسماً بالحضور الشديد ...

يضج الحنين إليكِ سيولاَ من الدمع
ترتجّ في الصدر،
استعصتْ على الانبثاق، وحجّرها عنفوان المرارةِ،
منهكةٌ كل يوم وجوه الرفاق ،
ولا نعرف في السجن لون المرايا
ولكنني منهك مثل كل الوجوه

(2)

يقولون : إن غداً يوم عيد
وفي ليلة العيد يومض وجهك متسماً بالحضور الملح
المباغت،
تبتسم الأمنيات ،
تشب العزيمة في القلب جارفةً وتَمسّ تجاعيدَه بالسرور،
ليصبح في موهن الليل،

في أعمق السجن ،
غضاً ومتسعاً لاحتفالات أطفالنا ،
مهرجانكِ - يا امرأتي - ها هنا
فاغرسي قدميك الشجاعين في ثابت الأرض
وانتظريني .

سجن الجديدة الانفرادي
1979/1/30

عن أحزان الغابات وليلى

إلى الرفيق : رجب الهنيد

(1)

تشرع ليلى في الصباح شهقةً
فيستفيق في يديها الزنبق الخفيّْ،
تشرع في المساء لهفةً إلى اتّقاد اللهب المندسّ في جراحها
فتمسح الغابات عن جبينها تقطيبة الإجهاد ،
لكنني أشهرُ في الصباح والمساء شهوةً
إلى انتشاء الحلم بالوصال،
أهِ ما أعذب أن نكون شهقتين

(2)

تراكم الحزن على الضفاف يا سيدتي
والنهر لم يزل يفيض،
ممعن في سفري إلى الحنين الجارح الحدّين ،
طاعن فينا وفي ارتجاف الليل،
مَنْ لي بنهر أختلى به في ساعة النزيف،
أهدأُ في عذوبة انسيابه،
أحكـي لـه عـن شـجر يحلـم بالأسمـاء في جذوعـه،
ويحتفي بمقدم العشاق،
عن وطن تحنو أصابعي على اسمه المنقوش في مسبحتي،
وعن صبية جميلة أحببتها ذات مساء هادئ ،
فقاسمتني فوق صدر العشب خبزها ،
واستفحلتْ في داخلي حتى وجدت طعمها في الريق،

أربكتْ رقّتُها خشونةَ الجراح في مدائني المنهوكة القوى،
فاسْتسْلَمتَ مدينةً مدينةً ولم تزلْ،
مَنْ لي بهذا النهر،
يا سيدتي
الجراحُ صارت موقدي في الزمهرير،
استوحشتْ حتى غدت مثل عيون الذئب ساعة الخطر،
صار لها ما لحضور الموت من فُجَاءةٍ،
والليل لا يخون ما نودعه من سرنا ،
فهل أبوحْ ؟
(كم أتمنى أن أصير قبلةً بحجم يومٍ مشمسٍ أَحُطُ فوق
خدها ولا أريم)

تفتق المساء عن شاطئه البهيّ ،
وارتوتْ نوارسُ البحر من الهوى،

غَازَلتِ الزرقةَ بارتمائها بين جناحي شفق مورَّدٍ ،
والشمس لململمتْ رداءها وأفسحت لك المكان،
هل تأتين ؟
يبدأ الرحيل صوب عينيكِ شجونه،
وأنت كالربيع لا تخطئه أشواقنا
لا توصد الأبواب دون وجهه
لا يخلف الميعاد في مواسم الحضور ،
أيتها الدهشة اقبلي،
كم يشتهيك قلق النحل،
عرائش الزهور،
هسهسات الريح في تناوم الغروب،
يشتهيك الشاطئُ المكدودُ
والرحيل الصعب،
والشَّجَي،

أيتها " السوناتا "

يا أنتِ ،

يا أسطورةً منحوتة الأسرار بالدماء

أقبلي ،

فدمنا المهدور دافئ حدَّ اللهيب،

موشك على النفاد ،

(3)

أسكب ضوء عينيَّ على الأوراق،

والحصار يا حبيبتي يشتدّ،

يصبح وجهُ الوطن المغدور دمعةً نحملها في القلب أينما نَحلّ،

يحوطها الإصرار والأمل،

غنيت ذات مرة عن صبوتي،

عن محنة الآتين من أحلامنا
يلقون بالدلاء يملؤونها من نزفنا اليومي،
والغناء عن كُمون دمع القلب قاسٍ يقطع الأنفاس،
لكنني غنّيْتُ،
غنيت للأطفال عند مدخل الكون،
وللذين تنتهي أحلامهم عند رغيف الخبز،
فهل سمعتِ - يا حبيبتي - أغنيتي عن دمعةٍ عصيّة ؟

(4)

والسيل دمع صار نهراً ،
والرماح شيء يشبه الأشواق،
والهوى كالموت لا يصدّ،
وأنتِ مطلع الأغنية الذي أحبه ،
ولا أذيع من خبايا سره إلا الذي يفلت من تجلّدي،

وآهِ من تجلّدي،

فاليومُ تلو اليومِ تلو اليومِ في انتظار ساعة الهمود،

في انتظار جثتي،

لكنما الرفاق في المتراس يومضون،

يزهرون تحت وطأة الألم ،

طرابلس - سجن " بورتا بينتو"

القسم الثالث 21 يونيو 1981 م

انثيالاتها عند الضفاف الأخرى

(1)

مبــتهج ذلــك الألــق المتــوحش يــسكن عينيــك مثــل
الرشاقة،
يُوهِن روح أتّساق عبارات هذه القصيدة،
يفتضّها بالتأصّل والالتحام المَهُول مع الغور،
هل أَكِلُ البوحَ للريح ؟
أم أتمنى اتصالاً خفياً مع الشِعْر في غفوة النهر ؟

(2)

مبتهل بالصلاة التي هسهست بتعاويذها الغابة،
الآن يغتسل الجمع فيها بطهر البريق المروِّع،

يَفْجؤُني بالتفاتاتكِ اللبؤية ،
يا فرساً لا تَدين بغيرِ الصهيل الطريّ،
ولا يسع الالقَ المتمردَ فيها سوى هيبةٌ
في انشداه البحيرات،
أركضي فوق صدر الفجاجةِ،
وانتبهي للتفاصيل،
لا تغفلي عن تماوج رقص المياه إذا زفر البحر موجاته
كالتنهد،
صبي تألقك البربريّ على خَلَوات المحبين ،
أنظري في عيوني العنيدة بالانهمار الذي اعْتَدتِ،
جوسي خلال جوانبها بانفجار يمزق أستارها باللغات
التي لا تقال،
إمسحي بالتوغل فيها العَشَي،
اتّسعي كالمدى فيّ،

لا تلق بالاً لهلهلة اللفظ،
حمى التلجلج ممسكة بلساني ،
صوتي اضطراب وهمهمة لا تبين،
مُفتضّةٌ كلها كلماتي أمام فتوة غابات عينيك،
وعذراء كل المعاني التي لم تصلها الأيادي،
ترى، هل سألمس جوهرة خبأتها طوايا الصعوبة في اللغة
البشرية؟
أم سوف أصبح حين يفاجؤني وهج منك هبّةَ ريح ؟

(3)

سيدةُ الوله المتعاظم أنتِ
ومبتدأُ الاتساع،
وغائرة في دمي كالعناد

(4)

زادي على كتفي،

والرحيل الذي لست أعرف وجهته يبدأ الآن،

سيدتي،

ينقص الطرقَ الوعرةَ الألفةُ والأمنُ،

أين العلامات ؟

مياه الينابيع لا تتجاذب أطراف أي حديث مع العابرين،

فمن سأسائل ؟

لا أحد الآن يؤنسني غير تمتمتي بالتيقن من وعدها بالبزوغْ،

في المساء أحادث قُبّرةً أخبرتني بوحدتها في انتظار ربيع العصافير،

حين أجوع أمد يدي نحو ربطة زادي، وافتحها ،

ثم آكل آخر ما زودتني به الأرض من أرغفةْ ،

ففي غابة كالحنين - المبلل الوهم والارتجاف -

إلى زمن للعناق - التلاشي،

أصوم على صدر تربتها المتفتح للخصب منذ عصور الغناء،

وانتظر الليلة الأربعين التي ينتهي في بدايتها طقس عري القمر،

أتوثّب كالقلق الملجم الفم،

أتلفتُ،

ألهث منبهراً بالترقب،

أنصت،

لا صوت ،

لا صوت،

أصرخ :

سيدة الليل والغفو،

سيدة القمر المتعري لأعين عشاقه ولموعدها ،

يا إلهة شوقي، وممسكة بزمام التعاويذ،
يامليكة صبري، وسر عنادي التي جئت أبحث عنها،
ألم يحن الآن وقت التجلي؟

....

....

تُرقرقُ عينايَ وجهَكِ منقشعاً من خيوط الضياء،
فيحتلني في هدوء حضور له مثل طعم التمائم والزمن المتعتق،
أنثى تأجَّجَ فيها الصبا،
جسد لا يهاب انفلات تضاريسه،
عمّدتْه الأساطير باللهب المستمد من الأصل،
لما رمت فيه أول صاعقة من صواعق ذاك الزمان البدائي،
وأوصتْ:
لموعدها دائماً يتعرى القمر،

مرحباً ، أنتِ سيدةُ السحر والمُتمنَّى،

أجلسي هاهنا

ريثما يبدأ العنفوانُ تدرجَّه المتصاعدَ صوب القمم،

طرابلس – سجن الجديدة

5 مايو 1980 م

الـمواويل تشعل جرحها

إلى الشهيد : (*)
عبدالعزيز الغرابلي

(1)

لم يمتْ،
ما جرى أن قلبَ المحّب العنيد غَفَا ،
وشرايينُه قد خلت من دمٍ ليشقّ سواقيه نحو شرايينا ،
للجبال مدًى لا تجاوزه،
ولدمدمة السيل في كبد الأرض عبر العصور مدًى
لا تجاوزه،
للشموس التي لا نراها مدًى لا تجاوزه،
ولكن عبد العزيز المعمَّد بالنار،

بالاشتياق إلى وهج باهر ،
أبداً ماله من مَدَى،
فليسترحْ تحت ظل النخيل قليلاً ،
فموعدنا عند بوابة " الزاوية "

(2)

نـشـيـد

النهر في ليبيا رجل اسمه بالزغاريد : **عبدالعزيز**
والجبل الصلب في ليبيا رجل اسمه في العيون العنيدة : **عبد العزيز** .
والغد في ليبيا رجل اسمه في لغات المحبين : **عبدالعزيز**
فمن ذا الذي لم يُوسوسْ به مرةً ؟
من ذا الذي لم يره ؟

(3)

عبدالعزيز الأغنياتُ،

يحبــه ألــق القــصائد، وارتعاشـــات الهــوى، والغــيم، والضحـكات، والزمن الجميلْ،

تألفه زهور البرتقال، البحرُ والغاباتُ، أعشاش الطيور، الليل والقمر المدور، والنَّدَى، ووجوه عمال المصانع، هبّةٌ من ريح صيف في الزنازين، الروابي المعشبات، عيون فلاحي بلادي،

ولك التبسم يا رفيقي ،

أيها الأمميّ والزاويّ والولد البهيّ ،

لديك نلقى بالتذمر والكآبة والملل،

فتحيلها ترساً،

ترمّم ما تَصدّعَ باليقين وبالأمل،

عبد العزيز النارُ،

مــــا هـزتـــه في ســـجن الطغـــاة ســـنينه الـــسوداء
والإحدى عشر،
لم تلمس القلبَ العفيَّ الشاسعَ المزحومَ بالتاريخ والثورات،
بالزحف الذي يبنى الزمان المنتظر ،
دمعي عليك وأنت حيٌّ ،
خطيئة لا تغتفر،

عبدالعزيز الورد،
أغواه القرنفلُ، غازلته الياسمينةُ ،
عرّشتْ في كفه زيتونة خضراءَ ،
وارتوت الدوالي من مسامّ جبينه ،
والنخل طَاولَه ولكن لم يصلْ

عبدالعزيز الحبُّ

حنّ إلى نسيم الشاطئ الصيفي
فافترشت " ودادُ " العشب غضاً في حدائق قلبه
مسّت بدهشتها ربيعَ الحلم
وارتسمت على شفتيه آلافاً من البسمات
أعطاها لهيباً رائقاً عذباً
وسافر في ضفائرها إلى بيتٍ صغير مثل كوكبنا ،
يأتي إلينا بعد كل زيارة كالشعلة الثّملَى
جميلاً كاكتمال الوصل،
يقاسمنا لحيظات اللقاء كشربةٍ
كالتمر في الصحراء ،
علمنا بهاء الحب حين يصير باقات من الفل المعطّش في
خواء السجن
زاداً للرحيل الصعب نحو زماننا ،

عبدالعزيز الدائم المنثور في دمنا تخاف طلوعَه فينا
جيوشُ عدوه،
تخشى بزوغ الفجر من عينيه حين يعود للأرض التي
ولدتْه ،
تنبت منه ألاف الأناشيد البهيجة ،
خضرة الغابات ،
أشجار الكروم المثقلات ،
حقول قمح للجياع ،
ومهرجان للشَّذَى ،
وحديقة في كل بيتْ،

الخائفُ المهزومُ قاتلُه،
يخاف بيوتَه السرية الأبواب ،
والمخفيَّ طلسمها المقدس في قلوب الكادحين إلى الأبد ،

(4)

أنا لا أتساءلُ لكن أصرخُ :
من ذا الميّتُ ؟
من ذا الحيُّ ؟

(5)

لمراثي الأناشيد حرقتها ،
ولقلبي فخار البكاء النقي،
لماذا يصير سريرك مستوحشاً ومهيباً كقبر النبيّ ،
وأنت الذي لم تزلْ تتنفّس في رئةِ الحجرة السادسهْ ؟
لعبد العزيز الوصول لما لا يطال،
ولي أن أطاوله،
أن أسير إلى عرسه ما تبقى من العمر.
لم يتعوّدْ لساني عياءً كهذا ،
ولكنني لست أعرف كيف أؤبن ملحمةً كاملهْ .

(6)

يقول الرواة القدامى :

حينما حملته الحياة على صدرها في شتاء العصور السحيقة، كان يمدّ يديه إلى ثمر الأرض يمنحه هبة العمر، يهدي إلى الطير ريشاً وحنجرةً للغناء ،إلى الزهر سرَّ التورد ، للونِ لوناً ،

ويستأنس الشعر، يعجن منه اللغاتِ التي تلد الخبزَ،

ثم ينام بجفن النجوم قليلاً ،

ويصحو ليبدأ أغنيةً كل ألف سنهْ،

فاصبروا أيها الحالمون بأرغفة وبزيت،

سيأتي،

فعبدُ العزيز النهارُ له الوعد ،

عمرُ أغنيه مليونُ عام جديد .

(7)

شهادة

ذات صباح في أسبوعه الأخير،

رأيته يجلس في السرير ممسكاً بيده مجله،

وحينما أزعجه الموتُ بوخزه الأليم،

بالصياح والضجيج،

سار نحوه في ثقةٍ واستلَّ منه كل أسلحته،

أنيابَه، أظفارَه،

كسّرها ثم رمى بها،

وعاد للسرير هادئاً، مستأنفاً قراءة المجلةْ،

(8)

السؤال الأخير

- كيف حال الحب هذا اليوم ياعبد العزيز ؟

يده امتدت إلى القلبِ المضمخ بالزنابق، قلبِهِ القنديل

مسّد شعرها متبسماً

فسرى التوهج في اصفرار شحوبه

وكم غزته البهجة الكبرى أجاب :

- الحب أجمل، أمتن من أي يوم مضى

لا تخف

ومضى

(9)

الأغنية الأخيرة

- تتحسس أوتاره الجذل العذب في النغمات الطليقة
يلمسها في ركام الأغاني - النواح ،
فيخرجها بحنوٍ ويمسح عن ريشها ما يعكّره ،
ثم يطلقها في السماء،
آخر أغنية أعجبته وردّدها وهو ينسل بالاحتضار
ينسلّ بالاحتضار :
" شوف الدنيا ياحبيبي
حلوة مليانة أماني
النهار شمسه محبهْ
والليل نجومه أغاني "

(10)

مما خطه على جدار الزنزانة :

" الوطن البعيد نحن فداهُ ،
من يكرم الشهيد يتبعْ خطاهُ "[1]

(11)

تعليق على سير المبارزة

لم يتنازل لأن يذكر الموت وهو يراه،
صار لديه كمن لا وجود له،
مُهمَلاً، يتنقل في القسم ،
يحضر عند الجميع ،
ولكنه كان يخشى الدنوّ لعبد العزيز،

يراقبه من بعيد،

يــراهن أن تــتمكن منـــه الجــراحُ، ولــسعُ التــألم،

والمرضُ الفظّ ،

أن سيراه ضعيفاً ولو مرة واحده،

ولكنه كان يحلم بالمستحيل،

ولو كان للموت حين يلاقيه عزة فارس،

لأدّى التحيةَ للفارس الخصم،

" من يدري

قد يتعلمها منه يوماً

فيهدي له حينها باقةً من ورود "

****

حينما كان ينزف

أقصد بالحرف **ينزف**

لم يتزعزع

ولم تختلج منه نظرتُه للرفاق الحزَانى

" وبورتا بينتو " [1] العتيد تزلزله ساعةُ النّزع ،

جدرانُه تتأمّلُ مدهوشةً رجلاً يتهدّم مبتسماً ،

ثم يعطي لكل رفيق من الدم حصته فيه ،

يوصيه خيرا به ،

ويفكر كيف يهدئ من روعهم حين تقترب اللحظة

الفاصله،

فهل قلت " كانْ " ؟

هو الموت ما كان،

لكن عبد العزيز يظلّ،

نعيش بنبضاته

نتبسم من شفتيه

وفي ليلة البرد نصنع دائرة حول صحبته،
نتدفأ منها،
نضيء قناديلنا من توهجه في الحياة وفي الموت،
نطرّز من فيض أحلامه بدلة العرس للوطن الحر
إذ يتبرعم فوق جبين الشهيد

(12)

لعل " وداداً " تزغرد في هذه اللحظاتْ،
فهي أول من سيرى الورد حين يمد عرائشه تحت شباكها،
هي من سوف يبصرُ أولَ خيط من الفجرَ يَنْضُو غلالته الداكنهْ،
وهذا الوصال الذي لم يكن مثلما تشتهي هو ما تشهيه البذور،

فعبدالعزيز الشهيد الذي ألجم الزمنَ المرّ قسراً وروّضَه صهوةً تمتطيها الحبيبة في نُزُهات المساء،

هو الذاهبُ ،

القادمُ ،

الصخرةُ،

البوحُ ،

دمعُ الغروب الملوّعُ بالأرض والوشوشات الرقيقة ،

ما مسّ صدراً يباباً من الناس إلا وأورقَ ،

ما خطّ في ورقٍ همسة الحبِ إلا اعترى وجهها خجل واستحالت حمامه،

كان على العاشق الفذّ أن يتخيّر وصلاً على حد سيف يحفّ به لهب العصر كي تصطفيه الرماحُ ليبزغ عند الزفاف،

ونحن لنا أبجديتنا :

الرقصُ في ساعة الرزء،
والزغرداتُ - الدموعُ
العنادُ، النشيدُ العنيف هويتنا،
فليعلن، الآن بدء المراسيم :
في عام أربعة وثمانين،
في ليبيا،
في طرابلس،
في سجنها المركزي،
بقسم المؤبد،
في الغرفة السادسة،
نفتتح اليوم عرساً لعبد العزيز
فغنوا إلى أن يفيض النهار ،

(13)

سنديانه

يجـــيء عبـــد العزيـــز		كـأنــــــه لم يغـــــبْ
عـــشب الربـــي يرتديـــه		وترتديــــــه الــــــسحبْ
ومـــــوغلاً ﴿ التنـــائي		يغيــــب إذ يقـــــتربْ
الأرض مــــا خاصـــمتنا		فيــــه لكــــن أحــــبّْ
مـــن عاشـــق قـــد دعتـــه		حبيبــــــة لم يجـــــبْ ؟

(*) عبدالعزيز الغرابلي مناضل ليبي تقدمي توفى في السجن يوم 1948/1/28م بعد أن قضى فيه أحد عشر عاماً.

(1) بيت لمحمود درويش .

(2) "بورتا بينيتو" هو السجن المركزي بطرابلس الذي بناه بينيتو موسوليني أثناء فترة الاحتلال الايطالي .

تشابكات الألوان الخالقة

- إلى الشهيد : (*)
حسين مروّه في يوم اغتياله
- إلى فاتح قباضة في عيد ميلاده

(1)

مساءٌ يلون لوحتَه الآنَ،
شيئاً فشيئاً يزقزق في خاطري بهجةً تتسرب لي في وجوه الأحبةِ،
ينتفض اللونُ، شكلُ التفاصيل،
يرسمهم جالسين، ويرسمهم ضاحكين
يُرتِّش جلستهم بالنسيم يمر على خصلة نفرتْ من قطيع
عفيّ من الشعر،
ترتد فوق بساط الأنامل مسرعةً،

أو يعاكس لؤلؤةَ العرق المتسكع فوق الجبين،
مثلما ترفع الريح تنّورة البنتِ،
تجري، فيلحقها مفعماً بالفتوة حتى تغيب عن
العين في دورة الذقن.
يضفي المساء بريشته جَذَلاً يتألق من تحت
أصواتهم،
يتلقى صداه النخيل المجاور،
في دعةٍ يتنفسه،
فترفرف سعفاتُه بانتشاء،
يلوّن بالأزرق المتفتح طفلاً يلاحق منبهراً
ظل شيء صغير على الرمل،
ما هو؟
شيء يرف بأجنحة غضة وملونة،

ويطير كدهشته،

ربما كان ظل فراشةْ .

مساء أليف يصارع في نشوة ليزيح عن

القلب وحشة هذا المساء

يدور المساء بلوحته فاحصاً :

نسى البحرَ،

هل يُرسم البحرُ ؟

أم تُنْحتُ الموجةُ امرأةً يتنهد بحر الحياة ليونتَها ؟

أيّ لون يوافق هذا الإله الفتىّ الذي ليس يشبه غيرك،

يفرد فوق الينابيع رقرقة الامتلاء،

يوزع بسمتَه في المدى كأبٍ مكتف بالخلود ،

(2)

أقول لضيفي المساء :
أنا لا ألائم هذا الهدوء طويلاً ،
فبي ولع بالبكاء على صدر هذي المدينة ،
بي رغبة في البكاء على قبر صاحب قلبي
الذي لم تُحِطْ ريشةٌ بيناعة ألوانه،
كيف تتركه واقفاً أيها الجاحد ؟
انظْر إليه،
هناك،
ألست ترى ؟
أنه قادم من بلاد الطفولة،
في يده حفنة اللوز، يأكلها ، ثم يرمي القشور ويركلها
في الهواء ،
إجلسْ هنا ،

سوف نذهب بعد قليل إلى الورد نصنع حفلاً ،
فسافر بنا أيها البحر صوب عرائسك العاشقات،
لنهتف معاً :
هل من امرأةٍ صارت الآن جاهزةً للقطاف،
ومترعةً بالتورد والشهد والاستدارات،
كـــالخوخ إذ يتعجـــرف في غـــصنه شـــاهراً في العيـــون نضارته،
أيّ لون يلائم هذا الإله الذي ليس يشبهه غير لونك،
يادمنا الناعس الآن تحت التراب أجبنا ، وقل :
أيّ لون سواك يلائم هذا الفتى ؟
يخبّئُ خطٌ صغير بوجهك عاماً جديداً ،
فما العام ؟ ما ألف عام ؟
ونحن هنا قبل أن تلد الأرض أعوامها
وسنبقى إلى أن نودع آخر عام على سطحها ،

ثم نستلقي تحت ظلال الشموس الجديدة،

نبدأ خلق الحياة،

(3)

بي شهوة للغناء - الغناء،

بي شهوة للمساء - النساء،

قم نكتشف مدناً لم تغادر بكارتها بعد في جسد المرأة - البحر،

تكتظّ في زغبِ الغابة الاستوائية المتبلل بالريح والسحب الداكنات بلادٌ من الاشتهاءات،

نُسلِم عند انثناءاتها عنقيْنا،

نغامر،

نلمس مرتبكيْن استدارةَ ركبتها فندوخ ويختلط الشعر:

أيتها البرأة - المحر،

أيتها المرأة - البحر،

لا تُسلمينا لسيّاف عينيك،

قد أخطأتنا إلى الآن كل سيوف العدو،

ولم تستطع أن تجردنا من جنون يعرّش في دمنا كل

هذي الزنازين ،

يا دمنا المتمدد في هامة للنخيل،

استرح في خطوط أيادي الصغار المعبّاةِ بالطين،

ثم تعال إلى غدنا مثقلا باشتعالك،

موعدنا عند بوابة الفجر،

لا تنسى حفنة لوزك،

واسرقْ من البيت شيئاً لنأكله في الطريق،

وقدنا لنستنشق الوجع المتصاعد في الأرض قبل الولادة .

(4)

قم نحتضن مدناً تتلظي شراستها إذ تقاتلُ

بيروتُ زهرةُ هذي الدماءِ الفتية

تَسفْحُها لتشق المدى،

قمْ نتسمّع غناءَ النشيد المحاصر بالليل والجوع والقصف

فوق المخيم،

أنصت معي لاصطخاب النزيف،

ففي قلب ليل كهذا يشكل " شاتيلا " من حلمه قمراً

مرعداً،

كن سهمه أيها الولد الرمح،

سوف تصوغ القذائف منا بقية ألوانه ،

علماً لا يهاب الردى،

يا فلسطينُ نحن هنا نتهجّاك في ظلمة السجن،

كل صباح،

ونكبرُ ،
نكبرُ تحت ظلال جراحك صوب النهار الوليد ،
فاسمع أناشيدنا يا أبانا الشهيد
ويا كربلاء المخيم إنّا رأينا الكواتمَ تغدرُ
هذا الحسين الجديد ، (1)
اسمع شهادتنا يا أبانا الشهيد :
إن يقتلوك فلن توقفَ الطلقاتُ اندحاراتهم،
لن تُسلّم زهرتَك المستكنّة في الصدر نضرتها لريح السموم،
أيها الثائر الأبوي الرؤوم،
تتّكي الشمس عند استفاقتها في وداعتك النبوية ،
تسهر فيك عيون المقاتل لما تنام النجوم،
نتدرع عرساً كما تشتهي يا أبانا ،
نخوض غمار الزمان الذي يتشكل فينا ،

فنعبر خطّ انكساراتنا وهزائمهَم،
لا الرصاصاتُ تخفى حضورك،
إنك تنتصر الآنْ
لا شيء يمنعنا أن نقاتلهم ،
إننا نولد الآنْ،
وهذا الفتى المتلفّع ورد الشراسة يشرع همهمة الوعد
مضطرماً في فتوتّه،
يتخطى سلاسله،
ويرتّب وضع المقاتل،

(5)

قم نقترب من حمامة هذا الغياب الطويل
فنطعمها من قصائدنا ،
اقتربي،

أنت ميلاد قلبي لعامٍ جديد
وعامٍ وعامٍ وعامٍ سيأتي،
تعاليْ نغنّي لنطردَ عن وجنتيك الشحوبْ ،
دعيني أشمّ قرنفل هذا التراب بكفيك :
طين يدوّخُ مختنقٌ بالخصوبة
تهجس أحلامه بالسنابل والصبية الرائعين،
مدّي ذراعيك واحتضنينا ،
فنحن نموت إذا انفصلت عنكِ أوجاعنا ،
ثبّتينا على باب قلبك إذ نشهر الحبَّ والدمَ في وجه
هذا الجدار،
فنلظم نزف ابتساماتنا عقد فلّ لأحبابنا
ونغنى لأنفاسهم خلف هذا الحصار،

(6)

أعطني يا صديقي المساء نسيما من البحر أهديه للولد
الأرجوانيّ ،
قل لعرائسنا إننا قادمون،
"فأوليس" هذه البلاد يجئ
وفي يده باقة السنوات التي انصرمت
غضّةً لم تطلْها الغضونْ،
مبللةً بندي الشهقات،
تفك ضفائِرها للرياح، وتجري على شاطئ البحر،
تغمر أقدامها نشوةُ الزبَدِ المتدافع.
بي شجن يا صديقي المساءْ ،
بي كلّ ما بالفواكه من شهوة الامتلاء،
وما بالتوهج من وَلَع الصحو،
ما بالمقاتل من ضغطة الدرع،

ما بالسماء من الاندهاش،
وبالضوءِ من لهفة لارتخاءِ النعاس،
وما بالسحاب من الدمع،
بي تعبٌ واتقادٌ،
و بي فرحٌ وبكاءْ،
أيّ لونٍ سواك يلائمنا اليوم يا دمَنا القرمزيَّ الموسّدَ في الأرض؟
ماذا سنسمع من أغنياتك يا تاج هذا المدى الكرنفالي؟
كم نخلةً قد زرعت على باب تلك المدينة من أجلنا ؟
بعضهم قال :
إن البساتين تنشقّ عنك لتشرب صحبتك
الشاي في أخريات الليالي،
وأنك تمسح دمع المدينة مبتسماً حين ينهرها القمع،
وأن الصغار الذين اشتهوا ليلة العيد ألعابهم وجدوك
بداخلها،

كم تمناك رقصُ الغزالة تحت النجوم لبهجته،
إذ رآك ترفرف هذا المساء بحفل الزفاف.
كنت أوسمَنا اليوم في (كسكسى العرس)
لما رميْتَ لهمس صبايا النوافذ تنهيدةً،
وسمعناك صوتاً يرنّ بزغرودة الأمهات
التي كن يعجنّها بانتظار قدومك ،
يخبزنها كرغيف القمر،

(7)

هذا المساء الأليف يهدهدني،
فأحاول أن أتكشف لوناً له لذة الاكتشاف المغامر
كي أتذوقَ شهد انتصار الجراح،
تليق بك المهرجانات يا صاحبي،
ويداك مزينتان بحلم الخيول الأصيلةِ،

ممسكتان بماهية العصر ،

أطلقْ سراح الصهيل الفسيح،

أرتشفْ بهجة الخلق،

لوّنْ بلادكَ في كل صبح بألوانك الخالقة

****

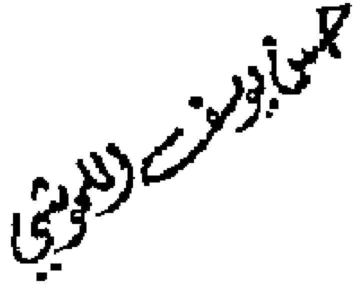
طرابلس - سجن بوسليم

3 مارس 1987 م

---

(1) هو المفكر العربي التقدمي حسين مروة الذي اغتالته منظمة أمل الشيعية في بيته بكواتم الصوت أمام أحفاده مساء يوم 14 / 2 / 1987 عن عمر يناهز 73 عاماً .

مرافعة السيوف



الإهداء :
إلى السيوف الوطنية المكبلة إبان الغارة الأمريكية على طرابلس وبنغازي عام 1986 م

تاجٌ من الإسمنت،
بيتٌ للخراب،
وساحةٌ للنرجس الضاري،
ودار الحرب،
أرواح مشردةٌ،
وأفراح ترفرف في هواء راكدٍ،
صور لأحلام من الفتيات،
صَرْخاتٌ مجمدةٌ على الجدران،

سفحٌ للتوهج والنحيب،
وما تبقى من زحامٍ في المدينة ،
ما تبقى من سماءٍ في الزحامْ
حرب الرياح مع الرياح على ركام الوهم،
زنبقة لهذا الليل في سوق التفجع والكلامْ .
هذا المكان مفازةٌ تفضي إلى الواحات،
شمسٌ أفلتت منها فظاظتها ،
وشكل حرائق البحر المغازل رقّةَ الصحراء،
ذاكرةُ العيون المستباحة للظلام،
هذا المكان بلادنا ،
كم من مساورة لحب متعب تمّت على باب المعسكر،
كم بكاءٍ جاء يجلس تحت أقدام الجنود محملا
بالصبر والتبغ الرديء،
هنا ملاجئ للقصائد والحمامْ ....

صدع المدينة يبتدي من هاهنا ،

يمتد أفق نافر حتى انكسارته على أبواب هذا السور :

معتقل يلملم حلمه بعد انتهاء الحفلة الأولى من التعذيب.

- لا تقلق

فنحن الحالمين على ضفاف الشمس لا نخشى اللهيب.

يشتد صمت غائر فينا :

طرابلس التي ما ودعتنا أوغلتْ في جرحنا

هذا الهوى من أجلها جرحان

جرح للغزالة والشرود إلى تهلّلها معي يوما

وأخرُ مبحرٌ لنهارها المغزول من وجع الحبيب

يرتّد فينا صوتُها فذاً ومندغما بنا ،

وهي الحيّية لا تبوح لنا بما وشم الزمان على نضارتها

من الآهات

لا تشكو،

ترمم صدعها سرا بعيدا عن عيون الحارس الدموي ،
تمسحنا بعينيها لتشعل في هشيم نفوسنا زهر القرنفل
يا غزالة إننا نهواك ،
زورينا كثيرا في ليالي العسف حتى ينتشي خداك في أعماقنا
فتبرعم السنواتُ وعدَك في مواجعنا .
نسير إليك نزفًا
واللجام مهانة للخيل .
سافر في جنون عروقنا دمعُ البراري
والرياح تسوق أفراسًا بأعرافٍ إلى أشواقنا
وتصبّ شعرك فوق جهد وجوهنا
هل ساحلٌ عيناك ؟
ام سهلٌ مآقينا ؟

تـدور الأرض فينــا حــين يـصهل فجرهــا في ومـضة مــن
رمشك السحري ،
قولي يا فتاة البحر :
من يهواك أكثر من طفولتنا على زنديك ؟
هذا الناي ؟
أم طبل من الصحراء ؟
عشب اللمسة الأولى لنهدك شبّ في شهواتنا
حتى اختنقنا بالندى
إنّا فحول النار
نرسل حبنا في الأرض مستترا إلى أن يلتقيكِ
يدغدغ القدمَ الصغيرة حينما تغفو المدينة في بكارتها
وتهجر ساحةً لا تنتمي لدموعها .
يعتدّ فينا جرحها :
دمعًا تحجر في عيون الأمهات

وصار يجنح للغضبْ

تعب الحنان من البكاءْ ،

تعب البكاء من التعبْ

السجن يكبر في التراب كأنه فطرٌ

ويصغر في جوانحنا كحبّة سمسمٍ

فيزيد عشاقٌ

وتخسر نظرة الجلاد رهبتها

وما كنا لنوقد شمعة لولا اتّقادك

يا غزالة غردي أحلامنا في كل عرس

أن عطرك في أغانينا يهيؤنا لندخل جولة أخرى من التعذيب

ما عقد من السنوات ؟

إنا جاهزون لألف عام في غيابات الهوى .

- هذي بلادي

لا تضعها تحت عقب حذائك الهمجيّ

هذي بلادي

قف

ولا تقسر شماريخ النخيل بها على علب إمبراطورية

« البارانويا »

كم ثرثرتَ عند سريرها بضجيجك الداوي

وما سرّيتَ عنها

وهي تحملني من النيران للنيران كي يشتد رمحي

عندما ألقاك

كم غازلتَ غرّتها وما ابتسمت سوى لعذوبتي

باق هنا ،

باق على أبواب هذا الليل أشعله ليصبح كرنفالا

باق على كومٍ من السنوات أغزلها بأنات

الجحيم الفذ وردا واشتعالا

كوني دما يا شهوة الكلمات
كي ترضى الغزالة عن قصائدنا .
ويلمع حرفنا عند اتكاءتها الأنيقةِ ،
يا طرابلس التي شهرت أحبتها بوجه الريح ،
والزيف الذي يعلو على الخلق العصيّ ،
ووحشة البوليس ،
والقصف المعادي ،
إنّا سيوفك يا بلادي
هاهنا نختال في أغلالنا
والليل يجبرنا على غمد من الجدران
حتى لا يطال السيف
أعداء تخفوا عند بابك
فاذكريهم
واذكري إنّا هنا طرنا اليك

جناحنا غضب ،

أصابعنا شموع الانتصار .

طرابلس – سجن بوسليم

1986 - 5- 3

سيمفونية الدم والسنابل

« ركعتان في العشق لا
يصح وضوؤهما إلا بالدم »
الحلاج

(1)

هي ذي الآن نائمةٌ في تمايل أرجوحةٍ من أهازيجها
الهادئات التناغم،
تأتي ،
تراودني في الأماسيّ مهمومةً بالحنين،
موردةً باضطرام المحبة ،
تزرع أنفاسَها أُنسَها في غرابيّة الليل حين تساورني
وحشتي،
مثقلٌ بالتباريح يا قمري،

ومُضاء بشوقي لعينيك
ياللعذوبة،
يا لانهمار الكيان البديع على هدأة الغفو،

(2)

مهجوسة بالتفاصيل ذاكرتي وبتنغيمة الهدهدات
البهيجة،
مابين نبضك والقلب أهجع منزرعاً فيك
إجهاشة الحلم،
انساب في دقة النبض ،
أصنع إيقاعه بالأغاني الجسورات
كم أنت مسكونة بالزغاريد يا طفلتي،
وحضورك يدفع اجهاشتي للتلاشي،
ألا إن وجهك اشراقة الحلم حين يهلل،

أنت البهية

أنت القوية

والحب علمني جدلية هذا التراب ،

وأفرغ لي في الإناء دمي للوضوء ،

وألزمني بالتطّهر من وحلي إذ أضاءَ الطريقَ إلى غدنا ،

فالهوى يُلْبِس العاشقَ المتمردَ تاجًا من الشوك ،

يُورده موردَ الأنبياء،

فما ضرّ من ماتَ بالوجد مقتَلَه ؟

ألصقي يدك المُتمنّاه وادعةً بيدي،

أن ما سوف نزرع بذرته ستهيج سنابله في الحقول الفسيحة ،

والعرس يأخذ زينته ،

وحده الحب علمني أ ن تضج الأغاني عن النصر في ساعة النزف والاحتضار،

(3)

عصفورة أنتِ مقدامة الرفرفات،
تحط على فوهات المدافع واثقة،
ومقاتلةٌ زمن الرعب بالابتهاج،
مؤججَّةٌ بالتوقّد والدمدمات الغضوبْ،
أصيخي معي السمع في هدأة الليل :
هذا أنين التراب الذي وطئ العسكر الهمجيون طلعته،
فاستحلْتِ لدىّ النشيدَ
وأرغفةً يشتهيها الجياع،
أصيخي معي السمع :
هذا زمان تضيء ابتساماتنا فيه درب مشانقنا،
فيا أيها الفرح المتملّك أحلامنا لا تغب،
فبمن نستعين سواك،
أَفِضْ منك عند المناجاة هفهفةً في نسيم الشواطئ ،
رقرقة في مياه الينابيع ،

رائحة الأرض في القمم البكر ذات صباح جميل،
أفضْ في مناجاة هذه الشغوف بإطلالة الشمس
والأغنيات ،
جمال السماء التي لاتحد ،
وأذن
فإني توضأت بالدم مستبشراً في بداية هذا الصباح،
وهنا ....
هاهنا ،
ستقام الصلاة .

طرابلس السجن المركزي

القسم الأول 22 أغسطس 1980

معزوفة الود والمرافقة

إلى الصديق الشاعر :
محمد الفقيه صالح

(1)

علمنا السجن أن تستحيل المعيّة فيه محادثةً
وكتيبة َشعر،
وجيشاً من الأغنيات،
يفاجؤنا الشعر،
تاجاً على جَبَهات الرفاق ،
عروسا تهدهد أحلامهم،
ويفيض بصوتك مشتعلاً بابتهال وعرس،
ومعزوفة الوجد ترفع ألحانها للسماء،
جميل بلقياك هذا المساء ،

وقلبك مزدحم بالمودة مثل ازدحام الزنازين بالأمنيات،
والسجن ينتأ بين انفساح البساتين مزرعة للمواجع ،
تُنبت أطفالنا يهتفون بأغنية الفجر والابتداء

(2)

تمنيت لو يتزحزح سجنك نحو الشروق قليلاً ،
ويرفع هامته
لتلاقي الأشعة عند انتصاف الطريق ،
ولكنه ثابت كثباتك ،
إن قليلاً من الودّ في السجن مثل قليل من الشمس،
والشمس تأسرها همهمات القصيدة ،
يصنعها الشعراء
فتشرق في داخل السجن عصفورةً تتقاسم أرغفتي
وتحمّلني كل يوم إليك تحايا الصباح

(3)

ولاشيء غير الهدوء وشقشقة الطير،
عند الظهيرة تفتقد الشمس ،
تأتي إليّ ،
فأغضب منها ،
أحاورها خلف قضبان نافذتي ،
وأحاول إقناعها بالذهاب إليك ،
تجيئك قبل المغيب ،
فتهديك قبلتَها بارتعاش التعجّل والخوف،
تذهب ،
أن المواجع تشتد حين تغيب ،
فيمسح شايُ المساء الكآبةَ ،
نغرق بين الأحاديث ،
ينبت عبر الممرات شِعر،

فيربط شوق زنازيننا للتسامر،

من يقتل السجن في النفس لا سجن يقتله ،

والتماسك يشتد ،

إن مفاجـأة الأمـسيات الجميلـة في مهرجاناتنـا ذلـك

الضيف يجلس مبتسماً ويسامرنا بابتهاج

وحين نسائله : من يكون ؟

يجيب بإشراقة الابتسامة :

إني الوطن .

سجن الجديدة

1979/7/21

نافورة الشمس

(1)

أحدق منفرداً نحو نافذتي في الصباح،
ألاحق خيط الضياء يمر إلى سقف زنزانتي،
حين يدخل - مبتسماً - عبر قضبانها،
الشمس لمّا تزل طفلةً بعدُ،
لم ترتفع في السماء كثيراً
لكي يهبط الضوء نحوي ،
لذلك لا بد أن أتماهى بخيط الضياء لكي يمرق الوقتْ،

(2)

تهبط الشمس لي - حين تشب - على شكل نافورة

تتلألأ في قلب زنزانتي،

أتمدّد ،

أُغرِق وجهي بهذا الشعاع وأغمض عينيّ ،

يسكنني الضوء إجهاشةً بالحنين إليك كما تسكنين

مشاويره،

أَبْطِيء السير أيتها الشمس،

فهذا الشعاع سيعرج بي للسماء،

لأقهر طول المسافة بيني وبين ذراعيك في طرفة العين ،

(3)

للشمس قلبٌ

وصدر تهدهد أطفالها فوقه حين يغفون في حضنها

وأنا ممسك يدها نتنزه في شاطئ البحر،

يصطفق الموج في جذل ويلامس أقدامنا بافتقاد الصديق القديم،

تزغرد ضحكتُها المستثارة،

تجري

ألاحقها فوق رمل الشواطئ

أزرع في شعرها زهر عبادها ،

يغضب البحر في غيرة الطفل ،

يركل وجه الرمال بأمواجه ،

نمسح دمعته ونناغيه .

(4)

تتسل نافورة الشمس في السر

تاركة جسدي يتلمظ نشوته

تشهر زنزانتي في مواجهة الحلم جدرانها

وحضورك في الذات جذر المسرة

لا يرهب السجن

يصبح مركبتي للوصول إليك

فأجري إلى (شاطئ الحلم) أسأله عنك

يكتم ضحكتَه البحرُ حين يراك تسلّلْتِ في الصمت

سراً

لُتغلق كفّاك عينيّ

أعلم أنك شمس تجيئين دون مغيب ،

وأن السجين بزنزانة الانفراد **سجينان** رغم الحراسة

(5)

أيتها الشمس

حين يغمس وجهك دورته في مياه الضفاف البعيدة

ينغمس القلب في بحر أحزانه
فاذكري أن تجيئي غداً

طرابلس - سجن الجديدة الانفرادي
1979/1/26

نخبـها

(1)

سأبدأ في صَوْغ أمسية من لهيب الفصول السحيقة،
أمنحها صفة الزمن السرمديّ،
تبوح الغزالة فيها بما لا يبوح به الغيم،
يستشعر الدمعُ فيها طهارته
ويغيب التأسّي عن الجرح
يسكر هذا التوحّش من لوعة الأرض حتى يليق بهذا
الزمان.

(2)

سـأبدأ في وصـف عـينيّ حتـى يكـفّ ارتعاشـي عـن الخوف،

تهطل منها الحبيبة ،

يسرقها زمني من تصاريحهم ،

فتفر معي لتخوم التوهج،

أبدؤها بالبراكين ،

تبدؤني بالسطوع الخفي،

ولا يعرف العاشقان من ابتدأ :

النار،

أم خلجات الأماني،

أنا السر في سنبل الأرض حين يهيج بها ،

وهي سيدتي في الخيالات والصحو،

نشرع أمسية كل يوم وندفعها في لُجيٍّ من
الخوف والأمنيات الحبيسة ،
يلتهب الخصب فينا ،
فتُظهر ما لم تر العينُ من قبلُ ،
تهمس غاباتُها بالنداءات،
يلتفت الشجر المتبسم يصغي لوشوشةٍ لم تُقلْ بعد ،
تزلزلني بالحرائق حين أراودها عن بقايا ابتساماتها ،
عن تصدع بهجتها بالحنين ،

*****

وعند الضفاف التي لم نصلها ، وفي ساعةٍ للعصافير ،
كان اشتهاء الغناء خبيئاً ،
وكنا نرفرف في اثر شمس الغروب
لنقتات من قرصها ومضتين ونسكر من دمها الشفقي
المذاق،

هل ترنحتُ ؟

بي لعنة للقرنفل،

من يقطف الآن لي دمعةً من أسى عرسها ؟

من يدلّ الجنون على مخبأي ؟

انقسم أيها العاشق الوعر تفاحة ورصاصاً ،

وصُغْ من تباريح قلبك ما يرتضيه الزمان البهيج،

فماذا يراد من التيه حين يكون انتثاراً على شفة الحب،

إلا التبرعم طفلاً يعلّم بسماته الطيران .

هام المساءُ على وجهه في الزمان البعيد إلى أن تملّكنا ذات يوم،

وقفنا معاً فوق عشب القصائد نسأل :

أي مقاطعها أشعلتنا ،

وما غادر الياسمين لنا غير أن نتفجر في لحظةٍ،

آه ما غادر الجرح لي غير هذا البكاء الأخير،

(3)

سأبدأ تقبيل عشب يديها ، وأخدش صمت السحاب،
أصوغ نشيدي لتبكي الأصابع من ولهٍ،
ويشق الفضاءُ المدارَ،
يبث تباريحه لعذوبتها ،
كانت امرأتي تتزين بالليل والارتباكات،
والسفن الذاهبات إلى غربتي،
ثم تُسلْمني للرمال وتشعل شمعتها فوق رمانة القلب،
كان دمع المساءات ينهلّ من حدق الأفق،
حتى تناغيه، تخفيه في شعرها ،
فأهيم وأتلو كياني بلا لغةٍ لأصابعها ،
كانت امرأتي ....
لا،

لن أكفَّ إلى أن يسيل دم الضحكات القتيلة
أو يبرز الموت من جحره ويناز لني،
كنت أهرب من غزل البرتقال إلى نهدها،
وهي تنحلّ تحت يدي شفقاً هاجساً بالنوارس
ينسل صوب المرافئ
يدخل في صمتها البحرُ دورته، ليفاجئني طالعاً من ثنايا التفاتاتها،
فتُدوْزِن شيئاً فشيئاً حضوراً يشفّ فيجرح،
أشهق من روعة الصبح هذا الذي يستقر بإيقاعها ليداعب قلب السنين بوسوسة الرقص،
ها قد تناغمت الأرض في رقصة من أصول البداية،
مدّت عروق التوحش في جسدي واستثارت بدائيتي،
فرقصت طويلاً على دمعة واحدة،

(4)

الأمسيات بداية موتي ومفتتحي للتوهج،
غادرني القلب متجهاً لزيارتها ذات يوم،
ولكنه لم يعد قبل أن يغلقوا باب زنزانتي،
كيف سيحصى الجنود سجيناً كهذا ؟
أنا هنا المستباح المطارد حتى النشيج المضيء،
أهيئ في موسم الدمع أنشودةً لانتحار الفراشة في
مهرجان الرماد،

(5)

سأبدأ من شهوتي للمساء - النضارة
من ولعي بالغناء
فاعبر سور دمي للرسو على شاطئ كالوليد الجديد،
يسلم أول دهشته لزمردة غازلته،

والبدءُ في لغة الزرقة المستحيلة صوت الصبايا يغنين،
والموتُ يشبه ظل انهمار الرذاذ على ضوء شرفتها ،
هي روح المدائن
تفْترّ عن موعد للدلال،
فتنبت أشجارها في صحاري طرابلس ،
كيف ترى ستطاق المدينة دون مواعيدها ؟
يستأذن الليلة العام منصرفاً
تاركاً لي جراحاً شظايا ،
فأسهر صِحبتها
والنبيذ بقايا العناق المُدمّي
أناديه :
يا أيها العام،
وَارِ القتيلة في يَمّ هذا النزيف

طرابلس - السجن المركزي

القسم الثالث 1 / 1 / 1983 م

جدلية الأشجار والمدن اليسارية

(1)

أشعر أني شجرهْ،
أني أورق في هيمنة الجدب،
وأستخرج قوتي من جوف الأرض، ومن أزمنة الحلم
القادم،
أسمقُ في أبهةٍ،
أنزف في أبهةٍ،
والفيض الدامي يختط جداوله في الصخر،
وينحت من كر الأيام المرة مدناً تتلألأ
مثل دموع الطفل الضاحك بعد بكاء،
أو كجباه يساريينا الليبيين،
يتعالى الشجر الطالع بأصابعنا،

يُجْرَحُ، فَيَنزُ دماءً،
أطفالاً ،
أحلاماً،
يبرق في أعيننا همس الصحو حدائق
تتناثر في
خضرتها أحذية الأطفال،
ونولد في كل صباح شمساً تهمي بالرقة في أجفان
المولودين الجدد.
وأشعر أني كالأشجار أحب وأشتاق إلى غيم،
أتصالب في وجه القهر الفاشي،
أمد جذوري في إجهاد المكدودين كما تمتد خلايا
التنظيم السري ،
وحتى حين يغوص الفأس الغادر في جذعي
أتسامق في تيهٍ أكثر،

(2)

من هذا المُعْولْ في قلبي في جنح الليل ؟
وليلي لا زالت تتخلّقُ في أحلام التربة زهراً وبحيرات،
تتكون في أخيلة العشق تلعثُمَ من أسَرته عيون الصبوة
في دائرة البوح ،
ليلي وجع لا يحتمل اللغة ،
ولا يتملق أوزان الشعر العربي،
لأن الطلقة تفهم دون عناء لغة الجرح الفاغر،
من هذا المنتحب ؟
ودغدغة أصابعها لازالت تتخلق في كفيّ قصائد
يغشاها حزن الفرسان المغلولين،
وآهٍ لو أني موهوب أكثر من جرحي،
من منكم يغريني بحديث عن عينيها ،
عن شكل جدائلها ،

عن أثر لبقايا جرح تحت شفتها السفلى في الجهة اليمنى،
أو يكشف ستر الأيام الموبوءة بالعسكر
فيراها تتسلل عبر خطوط النار إلى القسم الثالث في "بورتا بينيتو" لتقاسمني كوب الشاي البارد في الرابعة صباحاً،
تفزع حين تراني لا أتوقي من لسعات البرد ،
تدثرني ،
تقرص أنفي ،
وتغني لي بخفوت كيلاً توقظ أحدا ،
آه حين تغني،
يزدهر القمر المغزول على خديها ،
تستأنس غول الوحشة هذا الناتئ من قلب الجدران،

يعيد الصوت الفاغم بالغزل الرقراق رفيقاً غمغم في
الأحلام إلى أحضان النوم،
تجرّحني النبرات ،
وتركض في دمعي المتكتم،
أصبح زهرة لوز ،
أو أماً ،
أو نجماً مفتوناً باللهب الدامع،
لكني أشعر باليتم الآن ،
وأبكي تحت
ستار الليل على كتفيها ،
أعلم أن المعول في قلبي فرح يتشبث بمواقعه ،
أني أزدرد النصل اليوميّ بكوب اللبن،
وأستقبل بلباس الحرب صباحاً آخر،

(3)

هل نفصل جذوتنا عن جَدَث أمان تَهوِى ؟

تُفجَع في رونقها ؟

تندسْ شظاياها في اللحم ؟

أم أن الشجرَ المهموم بخبز العالم ،

هذا الحاملَ إكليل الحزن الطبقي،

الشجرَ الجدليّ الفقدان،

الشجرَ اللاهب،

أجملُ أنواع الأشجار ؟

أرتّق بعض ثقوب في صدري

وأصفف أسئلتي :

من أين تجئ الطعنة هذي المرة ؟

لا أبكي إلا في السر وحين أكون وحيداً ،

فثمة ما يشعل بهجتنا حين نكون على أبواب غدٍ لا يغدر ،

ثمة ما يبهجنا حين نكون معاً ،
أيتها المغلولة في سجن آخر، ..
ما طعم القيد ؟
وهل أزهر شباكك شِعْراً هذا اليوم ؟
ابتسمي بعناد يا فرسي ،
قُصّي أسطورة جيل يخبز من اجل عيون
حبيبته قمراً ،
فأنا آتٍ أحمل أرغفةً في حجم الضحكة ،
وأغاني سمراء كخبز التنور الليبي ،
ابتسمي يا نخلة حبي ،
فأنا أهواكِ إلى حد الوجع المترنّح ،
لكني لا أملك أن أنهار .

طرابلس - السجن المركزي

القسم الثالث 17 / 2 / 1982 م

غناء مع سبق الإصرار

(1)

لا أرى ما يتردّى في وهاد الموت
لكني أري ما يتخلّقْ
وإذا كان شعاع الشمس لم يخترق الجدران حتى الآن
فالقلب نهار يتألّقْ

(2)

شطٌّ من الوعد ،
لا يصعد الراكبون إلى الفُلْك إلا إذا دمدمت
مُهرة الريح فيهم ،
وهذا الصهيل دمٌ فاغرٌ جرحه ،
وهنا كتلة من جدار بليد يصارع أسمنتهُ

نزقَ الشعر فينا
يسمّون جرحَ المدينـةِ، دُمّلـة السوطِ هذه :
معتقل (الهضبهْ)
ياترى لمن الغلَبهْ ؟
للظلام المجِدّف نحو النهاية ؟
أم للعيون المشع تمردها في الوجوه المروعة المتـَعبه ؟
لحم هذى البلاد هنا يتعفن ،
وهي تجدد كل صباح خلايا أحبتها بقليل
من التمر في السنة المجدبهْ.
لا نساوم في شعَرها أو أصابعها أو مواجعها ،
نتعلق في ثوبها كالصغار ونمشي ،
فتغلق صحراؤنا باب أوهامهم ،
ويعمدنا البحر بالزبد الذهبي .
حبيباتنا لم يزلن يَخِطْن ثياباً لأعراسنا

كيف نهرم ؟

لا .... لا يجوز .

سيبتدئ الرقص عما قليل فمن سيغني ؟

- أنا ....

أوشك اللحن أن يترنح من خمرها ،

وأنا مثقل بارتشاف الأغاني ،

وكل اللغات استضافت تموج حنجرتي ،

فاسمعوا ......

لا تخافوا من الحرس ،

انتزعوه و(فلقته) من تخوم احتفالاتكم ،

ثم غنوا مع الطبل أو مع طرقعة السوط ،

لا فرق

إيقاعنا يتخلق خارج هذا المكان ،

ونبض المدينة يمنحنا ذروة المهرجان .

هاهنا فرحٌ لا يكابر ،

بل يتواجد في ضحكةٍ هكذا .

حزننا لا يناور ،

بل يتوهج في ليلة هكذا .

ما الذي نبتغيه من الأرض غير ملامحنا

ووساوس أحلامنا ،

ما الذي نبتغيه سوى عسلٍ وحليبٍ لأطفالنا

وأناشيد تمتدح العشب واللحظة الخالقه.

(3)

في غابة السجن يزدهر العمر فوق ركام الذبول

وتُبعث أيامُه حيةً من رماد الرماد .

كيف لا يستقيم العناد .

هذه غابة النار ،

كم يتلوع في جوفها العاشقون ،
وكم ينصت الليلُ منبهراً لأغانٍ ترف على همس نجمٍ
هنا غابةٌ لم تنم ،
والنداءُ المولّـه للفجرُ يثقلها بارتعاش الثمار .
إنها نجمة هدها التيه،
لكنها الآن سابحة في المدار،
غابة الشعر والسوط تشهر سيف الغناء
المحرَّم فتحُ حدائقه وتغرد في السرّ
من أجل أن يقطف الطفل لحناً لألعابه :
" ياربيع ... وياربيع ...
ياربيع الدودحاني
أعطى قرعونه للطير،
بيش يعطينا شوي أغاني "

(4)

تنهيدة اعتراضية

استيقظ في الصبح منتشياً كنهار سجين سيفرج عنه،
أنادي المسافة بيني وبين هوى الياسمين :
أنا رجل عوّدته الزنازين أن يتشظّى على مائة
امرأة من حنين المساجين في ياردات التمشي،
إذا يغمد القهر منتصف اليوم في الصدر يشتد
بالسجناء اكتظاظ النهار المكابر،
ندخل أقفاصنا اللاهبات،
تهبّ على القلب مثل ظلال العريشة في القيظ،
تمرق في صخب الداخلين،
توشوشني بلقاء تهربه لي بمنتصف الليل .
إيه ... أيتها المستحيلة،
كيف رمتنا الرياح على صخرتين،

وما بيننا زمنٌ جارحٌ،

بيننا وطن لا تبوح جراحاته،

نحن - يا طفلة العشب - لا نتورد من أثر البوح،

فالسر تعرفه باقةٌ من صبايا يسّيجْن

بالنرجس القلبَ ،

لا نتورد إلا من النزف،

والنزفُ تاج السنابل حين تثبّت قاماتها

عنوة في شواظ الظهيرة مسكونة بشفاه الجياع،

ابذري في التراب إذا أظلم الليل تنهيدتين،

لكي تزهرا في وسادات أطفالنا وردتين ،

بعينين صامدتين كعيني شهيد .

سجن أبوسليم

1986 - 7 - 20

الفهـرس

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

تنفيـذ الطباعـة والتجهيزات الطباعية
دار قـــبـاء الـحـديـثــة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
جمهورية مصر العربية
16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر
تليفاكس 02/22621365 - تليفون 02/24025777
محمـــول 0123140315
E-mail: modern_qubaa@hotmail.com



■ يقدّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام